الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

الدكتور زكي مبارك :

... وأخيرا مات زكي مبارك ... مات بعد حياة طويلة بعض الطول ولكنها مريضة كل المرض ، حياة تتلخص في كلمة واحدة جامعة هي « الصراع » ... كان يصارع في معترك العيش ، وكان يصارع في ميدان الأدب ، وقد ظل يصارع حتى نال منه الجهد في السنوات الأخيرة من حياته الحافلة فأدمته أشواك كان يبدي لها الجلد ، فيضمد جراحه ويحاول أن يمضي في كفاحه ، ولكن كان يغلبه التريح الذي أسلمه إلى التفكك . وكان الناس ينظرون إليه في هذه الحقبة الأخيرة على خلاف في الرأي والمزاج ، كان بعضهم يأسف لانتهائه قبل وفائه ، وكان قراؤه يلقفون ما يكتب على علاته ويتناولون ثمرات قلمه غير عابئين بما عليها من غبار وما يختلط بها من حشف . وكان أشد ما يجذب القراء إليه ما ظل يشعشع كتابته من روح نابض وظل خفيف .

كان زكي مبارك يمثل في صراعه الفلاح المصري أتم تمثيل ، كان فلاحا خارج القرية ، شق بقلمه طريقه إلى الجامعة المصرية وإلى السربون وإلى الصدارة في عالم الأدب العربي الحديث ، كما يشق الفلاح بفأسه الأرض لاستنباط رزقه . وكان زكي مبارك يحرث حقله في الأدب ليقيم خطوطه ، والويل لمن يعترض طريقه ، فاذا استوى زرعه وآتى أكله تولى حراسته ووقف بالمرصاد لمن يقترب منه . ولم يفته طبع الفلاح في الجور على حـــدود جاره وقتاله إذا استدعى الأمر ، ويتجلى هذا في سجاله مع الأدباء ، ذلك السجال الذي كان يحمل فيه القلم كما يحمل الفلاح « النبوت »

نشأ زكي مبارك في الأزهر ، ولكنه لم يكن كسائر الأزهريين ، فلم يكن من المقبلين على « علم » الأزهر الماكفين على طرائقه المأثورة ، بل كان من الفئة القليلة التي خرجت من بين تلك الجدران تتلمس الأدب هنا وهناك ، وجده أولا في الأزهر على يد أستاذه وأستاذ غيره من تلك الفئة القليلة الشيخ سيد المرصفي الذي كان يقرأ لهم كتب الأدب القديمـــة ويدلي كنوزها من قرائحهم وأذواقهم المتطلعة .

ولم يكن زكي مبارك في الأزهر بالطالب الخامل ، فإن فاته الظهور في الدراسة الأزهرية المأثورة فلن يفوته مجال الشعر والأدب فكان خطيب المحافل وشاعر المجامع ، وقد خاض غمار الثورة في فجر النهضة الوطنية وقذف نفسه في أتونهـــا المستعر وعانى الأهوال في السجون والمعاقل .

واتجه صوب الجامعة المصرية القديمة فوجد فيها أنفا أرحب وموردا أعذب ، فجال فيها وصال . وبعزيمة الفلاح وقدرته على التقشف رحل إلى طلب العلم في باريس ، فقد كان يعيش هناك على النذر اليسير الذي يظفر به أجرا لمقالاته في بعض الصحف المصرية . ثم عاد إلى مصر بعد أن حصل على درجة « الدكتوراه » فتلقفته الجامعة وضمته إلى أحضانها ، فاشتغل بالتدريس فيها ردحا من الزمن . على أنه كان متشعب الجهود يعمل في كثير من النواحي ويتنقل بين التـــدريس والصحافة والتأليف أو يجمع بينهما جميعا .

كان زكي مبارك واضح الشخصية متميز السمات في حياتنا الأدبية ، كان فياضا في ثقافته وفي كتابته ، حرا في ابداء رأيه ، عنيفا في معاركه ، وكان لا ينتظر حتى يثني عليه غيره ، فيتطوع هو بالثناء على نفسه ، ولعله كان يذهب هذا المذهب لاعتقاده الجحود في الناس فيعوض بنفسه ما ينقصه منهم . وكان يلطف عنفه ويسوغ استعلاءه روح خفيف ودعابة مستملحة

كان زكي مبارك — من غير شك — علما من أعلام الأدب في عصرنا هذا ، وقد اكتسب الحياة الأدبية أضعاف ما كسب هو إن كان قد كسب شيئا . . . وقد قضى بعد أن ترك للأدب ثروة كبيرة من مؤلفاته ومن آثاره في عقول تلاميذه وقرائه . وقد كان كثير الترديد لكلمة « الخلود » فيما يكتب ، فإن كان فاته ما أدركه سواه من عرض الدنيا فقد نال ما تتمنى به حياته من الخلود .

لغة المجتمع :

ألقى الأستاذ محمود تيمور بك محاضرة موضوعها « لغة المجتمع » فى الدورة الحالية لمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، تحدث فيها عن النزاع بين طوائف من اللغويين وجماعات من الكتاب والباحثين حول الألفاظ والعبارات من حيث وقوف الأولين بالقياس عند الحدود التى رسمها أئمة اللغة فى العصور الأولى وبالسماع عند العهد الذى اختلط فيه العرب الخلص بغيرهم من الأمم ، واتجاه الآخرين إلى الخروج عن هذا الجمود الذى يسلم اللغة إلى موت محتوم .

وقد فند الأستاذ تيمور بك ما يتمسك به اللغويون المحافظون فقال إن اللغة ظاهرة من ظواهر الحياة وقانون من قوانين المجتمع ، وهذه الظواهر والقوانين تتبدل وتتطور وفقا لما تقضى به ضرورات الاجتماع . والصواب فى اللغة مناطه الشيوع ، فمتى ساغت الكلمة فى الأفواه فقد ظفرت بحجتها فى الاعتداد بها وأصبح لها فى الحياة حق معلوم ، وان غلبة اللفظ فى الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه ، بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية فى بنية اللغة خليقة بالتقدير والاعتبار

ثم عرض المثل القائل « خطأ مشهور خير من صواب مهجور » فقال : ما أصدق انطباقه على اللغة لولا أنه يسمى المشهور خطأ ويسمى المهجور صوابا ، فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز والتسمح ، فليت شعرى — أى خطأ فى لفظ شهر ، وأى صواب فى لفظ هجر ؟ سواء على القارىء أو السامع أن تروعه بلفظ عربى نافر لا يجد له فى نفسه مدلوله الذى نبتيه منه وأن نفجأه بلفظ أجنبى مغلق ليس بعربى الأصل ، فاللفظان عنده سواء فى الابهام .

ولكن على من نعول فى توثيق الجديد من الألفاظ ؟ يجيب الأستاذ عن هذا قائلا : اسنا بمستطيعين أن نعول فى ذلك على جمهورنا الأمى العام خشية أن تذوب الفصحى فى محيط اللهجات العامية التى لا ضابط لها ولا نظام ، ولكنا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص الذى تعلم الفصحى وأشرب ذوقها ، فهذا الجمهور الضارب فى كل علم وفن هو مرآة اللغة المجلوة وقوامها الزكين ، والويل للغة إن بقيت وقفا على علماء اللغة وفقهائها الذين لا يبيحون لها السير مع الزمن والتجدد مع الأيام . على أن ذلك الجمهور المثقف يتجلى فى هذه الفترة من حياة مجتمعنا الحاضر معتزا بالعربية جانحا إلى الافصاح ، مما يدل على أن هنالك وعيا لغويا قويا يجرى تياره بين المثقفين جميعا ويبدو أثره فى المرافق الاجتماعية على وجه عام

كشكول الأسبوع

□ وافق معالى وزير المعارف على مشروع اتفاق ثقافى بين مصر والباكستان ينص على التبادل الثقافى بين البلدين والتعاون على إحياء التراث الفكرى ونشر آثاره ، وعلى الوصول بتدريس اللغة العربية فى الباكستان إلى مستوى يتيح لأبنائها المشاركة فى مجال الإنتاج الفكرى العربى ، والعمل على توثيق الروابط بين رجال العلم والأدب والفن والصحافة هنا وهناك بمختلف الوسائل

□ أصدرت أخيرا دار إحياء الكتب العربية مسرحية جديدة للكاتب القصصى الكبير الأستاذ محمود تيمور بك عنوانها « قناع » ، وتتخذ هذه المسرحية أشخاصها من تاريخ مصر القديمة ، وترمى وقائعها إلى تصوير الجهاد الوطنى والصراع بين نزعة الاصلاح والتجديد وبين المحافظة على الأوضاع المتوارثة

□ وأخرجت تلك الدار أيضا كتابا عنوانه « قصة محمود تيمور » للأستاذ أنور الجندى ، تناول فيه بالدراسة والتحليل شخصية « محمود تيمور » من نواحيها المختلفة وما يلابس ذلك من الاتجاهات الأدبية فى مصر

□ أقيم أخيرا فى بودابست عاصمة المجر احتفال أطلق عليه « يوم الكتاب » ، كان شعاره : الثقافة كالخبز سواء بسواء ، وتدل الإحصاءات المجرية على أنه قد تم نشر ٦٤٠٠ كتاب طبع منها ٦٣ مليون نسخة سنة ١٩٥٠ مع ملاحظة أن عدد السكان تسعة ملايين نسمة

□ يمثل جامعة فؤاد الأول فى العيد الألفى لابن سينا الذى يقام فى طهران وفى بغداد ، الأستاذ ابراهيم الليان ومصطفى عبد الرزاق بك وعثمان أمين وفؤاد الأهوانى